



بين المجامالت وجلد الذات تكثر وتتعدد وتتنوع وتتدرج المخالفات الواقعية فيما نطلق عليه في بعض أدبياتنا المعاصرة: المراجعات، إلى حدّ أدنى إنْ جزّمت بأنّها اشتغلت على كل شيء سوى حقيقة المراجعات لم تكن راكباً من الزعم شططاً، ولا ممتنعياً من القول شُرفاً ناشرزاً، وإلى درجة أنه لو دعا داع إلى غلق ذلك الباب بأعقد الأغلاق وأنقل الأफال لوجدنا لقوله في مصادر الشرع مسلكاً ومساغاً.

كيف السبيل إلى اعتبارها مراجعات وهي التي انتهت جميعها إلى حقيقة واحدة، مفادها أن كل ما قمنا به باطل لا أصل له، وضلال لا رشد فيه، وضرر لا نفع يرجى منه، وسخف وطيش وحمق لا تطيق الأرض أن تقله ولا السماء أن تظلله، حتى صرنا في هذا الكون نشازاً وفي هذه الحياة شذوذاً !!

فسعينا للحكم كان ركضاً إلى الهاوية أسرع من ركض الصيد الغافل إلى حتفه، وقتلنا على الجبهات والثغور لم يكن سوى مداعبة للأسد تحت أنفه، بل إنَّ كلامنا عن الجهاد والجلاد والولاء والبراء كان بمثابة النفح الحماسي اللامنطقي؛ الذي لم تجن الأمة منه سوى (داعشنة) الجيل، ونشر الخراب والبياب في ربوع البلاد.

هذه هي النتيجة التي تسلمنا إليها تلك (التوجعات) التي نسمّيها مراجعات، ووراء هذه النتيجة الحتمية ما وراءها مما لا يمكن أن يثبت عقلك في رأسك إذا قايسه بأدبيات الصحوة عند جميع من ينتسب إليها صدقاً أو كذباً جداً أو هزلأ، ومما لا تجد مسوغاً لقبوله إلا بإدارة الظهر لكل ما تردد في فضاءاتنا الرحبة عن عوم الرسالة وخلود الدعوة وأستانة العالم وغير ذلك مما كنا نعتبره ثوابت أرسى من الجبال.

وسوف تبلغ بك الدهشة منتهاها إذا رأيت هذا الخط التشاومي المحبط يمضي معه على التوازي خط تمجيدي للجماعة وتاريخها ورموزها؛ ليجتمع الضدان: تمجيد الذات وجلدها، في أغرب وأعجوب منظومة خطابية تنافضية، فالجماعة

معصومة ورموزها بالمجد والعز موسومة، أما النتيجة فهي كما ترى فشل تفشي وشر استشرى حتى لم يعد على الأرض على رحابتها وسعة أطراها شير لم يتلوث بآثار أخطائنا وخطايانا.

فيما أيها الكاتبون المنظرون رويدكم؛ فلقد نال خطابكم من الجيل ومن القضية أشد مما ناله الأعداء الألداء، ولقد جاوزتم موضع الداء ووضعتم السم موضع الدواء، فها أنتم تستبدلون بالكافح الانبطاح، وتسمون الجهاد عنفاً والنضال طرفاً، وترفعون فوق رؤوسكم ما وضعته الرموز التي تمجدونها تحت أقدامها؛ فما أبقيتم لمن يهوى التناقض مساحة يزاحمكم فيها أو ينافسكم عليها.

وخلالصة ما يقضي به العقل البسيط الذي لم تفسده الجدلية المتشابكة أننا لم نخطئ في قيامنا بما أمر الله به، ولكننا أخطأنا في عدم القيام به على الوجه الذي أمر الله به.

فنحن لم نخطئ في سعينا للحكم؛ إذ إن الإسلام دين ودولة، وتولية الحاكم المسلم العدل فرض كفایة، والسعى لتمهيد السبيل إلى تحكيم منهج الله واجب لا تتعتق الأمة من عهده إلا ببذل الجهد واستفراغ الوسع في هذا السبيل، ولم نخطئ في جهادنا لعدونا وعدو ديننا وأمتنا؛ لأنَّ الجهاد ذروة سنام الإسلام، ولأنَّ الأصل أنَّ الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيمة، وأنَّ وعاء الزمن لا يفرغ من طائفة قائمة بأمر الله في نحور أعداء الله لا يضرها من خذلها حتى يأتي أمر الله، ولم نخطئ في تعبيئة الجيل بما هو من الحق الذي أوحاه الله إلى رسوله صلى الله عليه وسلم؛ فهو الهدى والبينات والفرقان، وهو الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

إنما كان الخطأ الذي ارتكبناه في منطقة أخرى هي الأخرى بالمراجعة والأولى بالنظر والمدارسة، وهي منهجيتنا في إتيان هذه الأمور، هل كانت موافقة لمراد الله؟ ومتطابقة مع ما شرع في كتابه وسنة رسوله؟ أم إنَّ الاعتبارات – وما أكثرها – كانت حاكمة على المنهج ووصية على الأداء؟

ومن ثمَّ؛ فبدلاً من أن نسأل أنفسنا: لماذا سعينا إلى الحكم وتولينا مسؤولية البلاد؟ نسألها: لماذا لم نقم بهذا الأمر على الوجه الذي ينبغي؟ وما هي الأخطاء التي ارتكبناها فأدت إلى انقلاب الأوضاع؟ وبدلاً من الندم على الجهاد نندم على أخطائنا التي ضيّعت جُلَّ ثمرات الجهاد؛

فإذا لم نفعل ذلك وتمارينا فيما نحن فيه من الانحراف في التقويم فلا يمكن أن يوصف عملنا بالمراجعت، مهما اجتهدنا في حشر المصطلحات وانتهال الأسماء، وسيسجل التاريخ هذا في صفحات الكذب والتزوير والهروب من مواجهة الحقيقة أن المراجعات وسيلة لتصحيح المسار لا ريب، لكنها تكون كذلك عندما تصبح مثل تلك التي تعلمناها من كتاب الله تعالى وهو يراجع مع المسلمين أدائهم في غزوة أحد، ويقفهم على أخطائهم الحقيقة التي كانت سبباً في الهزيمة، بصورة جعلت من الواقعية المريرة فتحاً مبيناً.

جريدة بوست

المصادر: